



مؤمنون بلا حدود

Mominoun Without Borders

للدراسات والأبحاث [www.mominoun.com](http://www.mominoun.com)

# نحو نظرية القدر

## Toward a Theory of Destiny

ترجمة:

دعاء عبد النبي حامد

تأليف:

سيجون جباديجسين

20  
25

ترجمة ◆  
قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية ◆  
2025-01-28 ◆

## نحو نظرية القدر Toward a Theory of Destiny

تأليف: سيجون جباديجسين<sup>1</sup>

ترجمة: دعاء عبد النبي حامد<sup>2</sup>

---

1- Segun, Gbadegesin. (2004). Toward a Theory of Destiny. A Companion to African Philosophy Edited by Kwasi Wiredu. Blackwell Publishing.

2- باحثة دكتوراه في الفلسفة الأفريقية الحديثة والمعاصرة، كلية الآداب جامعة القاهرة.

## المقدمة

في أعمال سابقة (1984، 1987، 1991)، تناولت مفهوم القدر كما يظهر في الحوار الفلسفي اليوروبي. في هذا الفصل، سأواصل مناقشة الموضوع أكثر.

### مجموعة أودو Odu وقصتان

في مجموعة أودو، التي تشكل مجموعة الآيات التي تشكل أساس نظام الاستشارة اليوروبية، هناك على الأقل اثنتان من الإشارات إلى مفهوم القدر كما يظهر في الفلسفة اليوروبية التقليدية. في أودو أوغبيجوندا Ogbegunda، يُروى قصة كيفية اختيار الأوري ori (حامل مصير الشخص the bearer of a person's destiny) قبل الولادة في أورون orun (السماء)، وكيف، بمجرد الاختيار، يصبح لا رجعة فيه. إنها قصة ثلاثة أصدقاء - أوريسيكو Oriseeku (ابن أوغون Ogun)، وأوريليميري Orileemere (ابن إيجا Ija)، وأفوواي Afuwape (ابن أوروميليا Orunmila). كان أوباتالا Obatala قد انتهى من صنع أجسادهم الجسدية، وكانوا جاهزين للذهاب إلى منزل أجالا Ajala، الوعاء السماوي للأوري، لاختيار أوريهم. حُذر الأصدقاء الثلاثة من قبل أصدقائهم بالذهاب مباشرة إلى منزل أجالا، وعدم تعطيل رحلتهم لأي سبب، بينما اتخذ الأصدقاء الاثنان الآخران هذه النصيحة على محمل الجد، وذهبا مباشرة إلى منزل أجالا، قرر الثالث، أفوواي، رؤية والده أولاً قبل الذهاب لاختيار أوري الخاص به. وصل أوريسيكو وأوريليميري إلى منزل أجالا أولاً واختارا أوريهما، وانطلقا مباشرة إلى الأرض. وصل أفوواي إلى والده ووجد مجموعة من كهنة الاستشارة، يستشيرون والده. نصح هؤلاء العرافون أفوواي بأداء ذبيحة لكي يستطيع اختيار أوري جيد. قام بالذبيحة، وانطلق إلى منزل أجالا. على الرغم من مواجهته بعض العقبات في الطريق، تغلب عليها جميعاً، على ما يبدو بسبب الذبيحة التي أداها. اختار أورياً جيداً، بمساعدة أجالا، ونجح في الحياة. أما صديقه، أوريسيكو وأوريليميري، فلم يختارا اختياراً جيداً، ولم ينجحاً أبداً في الحياة. كل واحد منهما تعثر بخياره حتى نهاية حياته.

الإشارة الثانية هي في أودو Odu أوغوندا ميغي Ogunnda Meji، وهو عبارة عن وحدة من الآيات في مجموعة إيفا Ifa Corpus، التي تؤكد أهمية الأوري للشخص. في القصة، يُطلب من كل إله (كبير وصغير) ما إذا كان على استعداد لمتابعة مُتعبده إلى القبر؛ أي أن يموت حرفياً مع مُتعبده. لا أحد منهم على استعداد لذلك، حتى أوروميليا Orunmila، الأهم منهم، الذي يستنتج بعد ذلك أنه لا يوجد سوى أوري الشخص الذي سيرافقه إلى القبر. حرفياً، يعني أوري الرأس. وبالتالي، فإن الاستنتاج حرفياً صحيح: لا يتم قطع رؤوس الأشخاص الميتين قبل دفنهم. ولكن يقصد أيضاً أن يكون حقيقة استعارية: الأوري هو إله، تماماً مثل أوغون Ogun أو أويا Oya. ولكن أكثر من هؤلاء الإلهة، يعتقد اليوروبيون أن أوري الشخص هو إله الأعلى. لذلك تختم القصة بأنه لا يبارك أي أوريسا Orisa شخصاً دون موافقة أوريه، وبالتالي يجب علينا ترك الأوريسا الآخرين وعبادة أوري الخاص.

في هاتين القصتين، نجد لغز مفهوم القدر. يمكنني تحديد ما لا يقل عن سبعة أسئلة أساسية، التي يجب معالجتها لفهم المفهوم. أولاً، هل اختيار الأوري هو نفسه اختيار القدر؟ ثانياً، هل هناك فعلاً اختيار مشترك؟ ثالثاً، هل مفهوم المسؤولية دور في توضيح المفهوم؟ رابعاً، هل يسمح المفهوم بالاتصال بين الأقدار، على سبيل المثال، بين والدة وابنتها؟ وإذا كان الأمر كذلك، هل يحدث هذا بالصدفة أم بالترتيب؟ خامساً، كيف يؤثر الاعتقاد بالتناسخ على مفهوم القدر؟ سادساً، هل هناك قدر شخصي فقط أم إن هناك أيضاً قدراً جماعياً؟ سابعاً، ما هو مغزى القدر، وهل يكون الاعتقاد في القدر منطقيًا؟ سأتناول كل هذه الأسئلة كأساس لنظرية مترابطة للقدر.

## أوري والمصير

أوري، في لغة اليوروبا، كما ذكرنا أعلاه، تعني الرأس. ما علاقة الأمر إذن بالقدر؟ أوري جزء مهم من تكوين الشخص البشري. إيمي Emi وأوكان okan والآخرون. أوري مثل أوكان له معنى مزدوج. ويشير إلى الرأس الجسدي، الذي يعد حيويًا للحالة الجسدية للشخص. فهو، على سبيل المثال، مقر الدماغ. ولكن عندما يتحدث اليوروبا النموذجي عن أوري إنها في أغلب الأحيان تشير إلى عنصر غير مادي في شخصه؛ لأن هناك مفهومًا مقبولاً على نطاق واسع لأوري كحامل لمصير الشخص، وكذلك محدد لشخصيته. كيف يأتي هذا العنصر في الصورة؟

هناك اتفاق مشترك في التقليد وفي أدبياته على تركيبة الإنسان. وفقاً لهذا التقليد، فإن الإنسان مخلوق بالجهد المشترك للإله أوباتالا Obatala صانع الجسم المادي، وألودوماري Olodumare الكائن الأسمى، الذي يعطي إيمي emi قوة الحياة أو الروح. إيمي هي القوة غير المادية المسؤولة عن الحياة. وجودها يضمن الحياة وغيابها يعني الموت، لكن الإيمي في حد ذاتها خالدة ويمكن أن تتجسد في جسد آخر. أوكان، المكون الآخر للإنسان، فهو ذو طبيعة مزدوجة أيضاً، فهو مادي وغير مادي، وهو في طبيعته السابقة القلب. وفي طبيعته الأخيرة، فهو العقل، كمركز للوعي مسؤول عن التفكير، والرغبة، والتمني، والتداول، وما إلى ذلك. وعلى هذا النحو، تشمل محتوياته ايرو ero (الفكر)، إيفي- أوكان ife-okan (الرغبة)، إيرو eru (الخوف) إلخ.

بعد أن يضع أولودوماري إيمي في مكانة، يعود الجسم محملاً بإيمي الذي تم إنشاؤه حديثاً إلى منزل الإله أجالاً Ajala، صانع أورري للحصول على أوراي، الذي هو حامل مصير كل شخص وهذا كما تمت الإشارة سابقاً ليس هو نفسه الذي يحكمه الرأس المادي، ولكن بسبب يتعلق بالدور المهم الذي يلعبه الأخير في حياة الإنسان، فإنه يُؤخذ على أنه تمثيل رمزي للرأس الداخلي، الذي يُؤخذ بعد ذلك على أنه حامل المصير. هذا الرأس الداخلي أوري إينو ori-inu أو ببساطة أوري. لذلك، على أي حال أوري ليس متطابقاً مع القدر، فهو حامله، وبالتالي فهو المتحكم في حياة الشخص. القدر هو النتائج الحتمية للحياة، وطبعت في عالم أوري. يُعتقد أن كل إنسان لديه نصيب، وهو ما يحدد ما سيكون عليه في الحياة.

## أوري، القدر ومشكلة الاختيار

كيف حصل الإنسان على مصيره؟ هل هو بالاختيار؟ أم بالإجبار؟ هناك روايات مختلفة متضاربة في الأدب التفسيري، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى وجود روايات عديدة في الأدب التقليدي. يتعين على المرء أن ينتبه للجميع من أجل الفهم الكامل، حتى لو ترك اللغز دون حل إلى حد كبير. تبرز ثلاثة حسابات: أيامو أكونليغا وأكونليان.

أيامو ayanmo؛ تعني حرفياً «ما تم اختياره ولصقه على المرء». هنا لدينا فكرة أن المصير تم اختياره ولصقه. ومع ذلك، ليس لدينا فكرة عن يقوم بالاختيار. فهو إما الإله أو الإنسان. إذا كان الإله، فلا تنشأ مشكلة الاختيار. لكن مشكلة المسؤولية موجودة؛ لأنه إذا لم أختَر مصيري بنفسي، وتم اختياره لي، فبأي حق يلومني أحد لكوني ما قدر لي أن أكون دون أي مساهمة مني؟ إذا قمت بالاختيار، تظهر المشكلة حول نوع الاختيار الذي يقوم به الكيان اللاواعي. سأحدث عن هذا بعد قليل.

أكونليغا Akunlegba تعني حرفياً «ما يتم تلقيه أثناء الركوع». هنا، يُنظر إلى القدر على أنه الشيء الذي يُفرض على المرء، على الأرجح من قبل الإله. يتلقى المرء ذلك فحسب، وليس أمامه خيار فيما سيظهر. في هذا المفهوم للمصير، لا تظهر مشكلة الاختيار، بل تظهر مشكلة المسؤولية.

أكونليان Akunleyan تعني «ذلك الذي يركع المرء لاختياره». هنا الكيان الإنساني هو الذي يتخذ خيار مصير معين. في القصة الأولى أعلاه، هذا هو نموذج القدر المستخدم Afuwape والآخرين يتخذون خياراتهم الخاصة، يمكن للمرء أن يتصور الإجراء بهذه الطريقة. يذهب كيان الجسم بالإضافة إلى emi إلى بيت أجالا. هناك - العديد من أوري إينو ori inu (رؤوس داخلية) مع مصائر مختلفة مختومة بمصائر مختلفة. ينظر كيان الجسم بالإضافة إلى emi حول الغرفة ويختار واحداً. في قصة Afuwape قيل لنا أن Afuwape كان يبحث عن فتاة جميلة من الخارج. لكن أجالا ساعدته في اختيار خيار جيد حقاً. هذا لأنه أدى الذبيحة التي أوصى بها كهنة العرافة. وعلى أية حال فإن التركيز هنا ينصب على الاختيار، وهذا ما يخلق مشكلة الاختيار. كيف ذلك؟

فالاختيار يفترض الحرية، والمعلومات، والبدائل الحقيقية. ولا يوجد أي من هذه الشروط في حالة اختيار المصير. الكائن الذي يتألف من جسدين ليس حر؛ لأنه يجب أن يكون له مصير. لذلك لا يستطيع أن يتجنب اتخاذ «الاختيار» ولا يمكنه الانسحاب. ثانياً، هذا الكيان ليس حراً في الاختيار؛ بمعنى أنه ليس لديه شخصية، والتي بدونها يستحيل أن يكون لديه تفضيلات لأنماط الحياة. القدر هو ما يمنح الشخصية؛ لأنه هو ما يمنح الأذواق والتفضيلات عناصر مهمة في الشخصية. لكن بدون شخصية محددة، ليس للإنسان أي أساس للاختيار. ثالثاً، هذا الكائن لا يتمتع هذا الكائن بمعلومات كاملة ليقوم بالاختيار. ولا يوجد أي سرد لما هو موجود في كل

من الأوري. إذن هذا الكائن ليس له أساس للمقارنة بينهما، والذي بدوره يستحيل الاختيار الحقيقي. وأخيراً، لا توجد بدائل حقيقية، إذ لا توجد طريقة للتمييز بأي طريقة ذكية بين المتاح لأوري على الأقل فيما يتعلق بجوهرها الحقيقي. من الخارج يبدو كل أوري متشابهاً تماماً مع الآخر. ومع كل هذه الملاحظات، يبدو واضحاً أن مفهوم الاختيار يمثل إشكالية عند تطبيقه على اختيار المصير.

## أوري، القدر والمسؤولية

إذا لم يكن المصير حقاً نتاجاً لاختيار حقيقي، كما يجب أن يكون الحال عندما ننظر إليه أكونليغبا (ما يستقبل أثناء الركوع) كمصدر للقدر، يطرح السؤال حول مدى ملاءمة المديح أو الذم. هل الشخص مسؤول عما لم يختاره حقاً؟ ومع ذلك، فإن اليوروبا التقليديين لا يخلون من مدح و/أو إلقاء اللوم على الناس بسبب أفعالهم. فكيف يمكن إذن التوفيق بين هذا التناقض الظاهري؟ يجب أن يكون الأمر سهلاً إذا كان الأفراد مسؤولين حقاً عن اختيار المصير. عندها سيكون من المنطقي مدحهم أو إلقاء اللوم عليهم. وبالتالي يمكن القول إن سارق السيارات الذي سجن اختار عقوبته مع اختياره لمهنة سرقة السيارات. أما إذا لم يكن الاختيار له، وفرض عليه (من خلال أكونليغبا)، إذن هناك مشكلة لا يمكن تجاهلها. هناك نهجان لهذه القضية.

من وجهة نظر واحدة، فإن القدر ليس ظاهرة ثابتة، بل هو قابل للتغيير. في الواقع، يتصرف اليوروبا العادي كما لو أن القدر قابل للتغيير. لذلك، حتى لو فرض على المرء مصير سيئ، تقع على عاتقه مسؤولية محاولة تغييره إلى الأفضل. إن العرافة للطفل المولود حديثاً حول آفاقه المستقبلية هي الوسيلة المباشرة للقيام بذلك. الأساس المنطقي هو أن العراف لديه القدرة على تمييز مصير الجميع، والقيام بشيء حيال المصير الغير ملائم (غير مرغوب فيه). وبما أن الإجراء متاح للجميع، فإن الحجة هي أن كل من لا يستفيد منه هو المسؤول عن أي مشكلة قد تواجهه في الحياة، وليس القدر الأولي. ومع ذلك، فإن هذا الاستنتاج لا يأخذ في الاعتبار حقيقة أنه حتى بعد كل ما قيل وفعل، قد لا يختفي القدر الغير مرغوب فيه، أو على الأقل هذا هو الاعتقاد؛ لأنه ليس صحيحاً، في لغة التقليد، أن أيانمو كو غبوجون؟ *ayanmo ko gboogun* أي أن القدر لا يخضع للطب. إذن لا بد من مواجهة السؤال التالي: لماذا يرفض اليوروبي النموذجي قبول المصير الغير مرغوب فيه ثم ينتهي به الأمر إلى قبول حقيقة مفادها أن المصير السيئ لا يمكن تغييره؟ ينطلق اليوروبا على افتراض أن المصير الجيد قد يتغير سلباً بسبب مكائد الآخرين، وبالتالي يسلمون أنفسهم باستمرار ضد الأشرار؟

الإجابات عن هذه الأسئلة هي جوهر الفكر الفلسفي اليوروبي. وتمهيدا للإجابة عن السؤال الأول، لا بد أن نشير إلى ما يلي: يتمتع اليوروبا النموذجي بموقف متفائل تجاه الحياة، هو أو هي ولدت في عائلة محبة ورعاية، هو أو هي تعرف أيضاً أن الآلهة موجودة لحماية الفرد وازدهاره. لذلك، فإن الموقف الأول تجاه الحياة هو التفاؤل. ثانياً، لا تأتي عملية العرافة أبداً بتنبؤ سلبي بحت للإنسان. إن منطق العرافة هو التنبؤ بطريقة لا تؤدي إلى حجب آفاق الخير في الحياة بشكل دائم، وهكذا حتى لو رأى العراف مشكلة، فإنه يضعها

في ضوء إيجابي، وقد يوصي بالتضحية. على سبيل المثال لا يتوقع من العراف أن يقول «مقدر لك أن تموت»، بل سيقول نصحت بتقديم ذبيحة لتفادي الموت المبكر، أو ينصح بتجنب الذهاب في رحلة طويلة لعدد من الأيام لتجنب وقوع حادث.» تظهر هذه الأمثلة أنه حتى العراف يظهر الجانب المتفائل من الإيمان بالقدر. ولذلك، فإن هذا الموقف هو الذي يحدد سلوك الناس، ولماذا يتصرفون على افتراض أن كل شيء على ما يرام. ومع ذلك، لنفترض أنه حتى بعد التضحية ضد الموت المبكر، لا يزال الإنسان يموت في ظروف غامضة. هنا يتم اللجوء إلى فكرة أن ذلك كان دائماً مصيره، ولا يمكن تجنبه، يمكن القول إذن إن عقيدة القدر لا تؤدي إلى الاستسلام للوهلة الأولى، ولكن إذا جمعنا بين مرحلتي عملية التفكير، الأولى هي التفاؤل الأولى والثانية هي اللجوء إلى القدر، فقد يبدو أن الناقد غير الخير قد يشعر بالتناقض، في حين قد يشعر المتعاطف بالاتساق.

النهج الثاني هو أكثر إشكالية؛ لأنه ينطلق من افتراض أن المصير السيئ قد يكون نتيجة لشخصية الفرد بعد إسناد مصير جيد. وبالتالي، فإن الشخص الذي كان مقدرًا له أن يكون جراحاً ناجحاً قد يتبين أنه فاشل بسبب كسله وأنشطته الاحتياطية، وتعتبر حالة كهذه تستحق اللوم. وبعبارة أخرى، فإن القدر يضمن فقط الإمكانيات، وليس تحقيق آفاق الحياة. هذا الأخير يعتمد على جهود الأفراد. ومن هنا جاء التركيز على إيس ese (الساق) وأوو owo (اليد) في تفصيل المفهوم. الساق واليد هما رمزا العمل الجاد الذي بدونه لا يمكن أن يتحقق المصير الجيد. ومع ذلك، فإن المشكلة لا يتم حلها إلا جزئياً من خلال هذا النهج؛ لأنه إذا كان بإمكان المرء أن يفهم المصير فيما يتعلق بالنجاح أو الفشل، فلا يبدو أن نفس الإجابة ستطبق على المصائب التي ليس لها مصدر ملحوظ في شخصية الشخص. هذا هو الحال مع ضحية بريئة لزلزال أو فيضان، ولا يمكن للمرء أن يلوم شخصية الضحية على مثل هذا المصير السيئ دون افتراضات حول حياته السابقة.

## ترابط المصائر

إن فكرة المصير في حد ذاتها تشير إلى أنه لا بد من وجود علاقة ما بين مصائر الشعوب المختلفة: الأم والطفل؛ الأزواج؛ الأصدقاء والعلاقات. فالطفل الذي قدر له أن يموت في طفولته يولد لعائلة مصيرها ذلك الحزن على طفلها. لذلك، يمكن للمرء أن يفترض أن كل من الوالدين يجب أن يكون قد اختار (أو حصل) على مصير ذي صلة. وبالتالي، هل يمكن أن يعني ذلك أيضاً أن جميع أفراد مجتمع معين اختاروا مصائرهم المترابطة، على الأقل إلى الحد الذي يكون فيه للأحداث المهمة في حياة كل منهم تأثير على الآخرين؟ لسبب واحد، أن مصير الملكة هو أن تحكم شعبها، الذي تتضمن مصائره أن تحكمه هذه الملكة بالذات. ألا يعني ذلك أيضاً أن مصير سارق السيارة يتضمن اختيار ضحيته التي سيكون مصيرها إذن أن تتعرض للسرقه وربما القتل على يد هذا الشخص بالذات؟ وربما تعكس هذه الرؤية حول ترابط المصائر النمط الطائفي التقليدي للحياة بين اليوروبا، وقد توفر الأساس المنطقي الفكري للاحتكام إلى فكرة المصير المشترك التي يميل الزعماء السياسيون إلى اتخاذها عندما يناسبهم ذلك.

## المصائر الفردية والجماعية

المصائر الفردية تحدد نتائج الحياة الفردية. القدر هو معنى وجود الإنسان، والغرض من الوجود. ومع ذلك، لا يمكن فصل هدف الحياة الشخصي هذا عن الواقع الجماعي الذي لا يشكل الفرد سوى جزء منه. ويرجع ذلك جزئياً إلى ترابط المصير الذي تمت مناقشته أعلاه. ومع ذلك، يرجع ذلك أيضاً إلى حقيقة أن غرض الوجود الفردي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بهدف الوجود الاجتماعي، ولا يمكن فهمه بشكل كاف خارجة. وبينما يؤكد القدر شخصية الفرد، فإن القدر أيضاً يربط كل فرد بالمجتمع، ولا تصبح الشخصية ذات معنى إلا من خلال مناقشة القدر والمجتمع. وعلى أية حال، فالقدر في حد ذاته مفهوم مجتمعي، ووسيلة للمجتمع لتزويد أعضائه بالمعنى. في التحليل النهائي، الشخص هو ما هو عليه بفضل مصيره، وشخصيته، والتأثيرات المجتمعية عليه.

ولكن ماذا يعني القول إن القدر هو غاية الوجود؟ ببساطة، إن مصير الفرد هو ما يفترض أن يعيش من أجله. لقد جادلت في مكان آخر بأن القدر يشبه رسالة يجب إيصالها. يرسل الإله الرسالة من خلال كل شخص، وهي مساهمة الشخص في مجمل الخير في المجتمع على وجه الخصوص، ولكن أيضاً في الكون. ومن خلال تصورنا بهذه الطريقة، لا بد أن تثار مشكلة المصير السيئ أو حتى الشرير، على سبيل المثال، مصير سارق السيارة. كيف يفترض أن يعزز ذلك مجمل الخير في الكون؟ يبدو أنه لا يمكن للمرء أن يحافظ دائماً على وجهة النظر القائلة بأن القدر هو تعزيز الخير، والاعتراف بحقيقة أن بعض الأقدار شريرة بشكل واضح.

وجهة نظر أكان، كما فسرها كوامي جيبيكي، تتجنب هذه المعضلة. فوفقاً لهذا الرأي، فإن الله يدبر القدر، وهو دائماً خير. ومن ثم يُعزى حدوث الشر في العالم إلى وجود الأشرار. ومع ذلك، وكما قلت في مكان آخر (1991)، فإن المشكلة هنا هي أن الأطروحات الثلاث التي قدمها جيبيكي لا يمكن الحفاظ عليها باستمرار. والأطروحات الثلاث هي: الله يفرض القدر؛ فالقدر دائماً خير؛ المصير غير قابل للتغيير. إذا أضفنا إلى هذه الأطروحات الحقيقة الواضحة المتمثلة في وجود شر في مجتمع أكان - يموت الناس قبل الأوان؛ إن الكوارث الطبيعية هي قوى حقيقية يتعامل معها الناس - ومن ثم يصبح من الواضح أن إحدى الأطروحات الثلاث لا بد أن تكون خاطئة. يعترف Gyekye أن مسارا قد يكون الشخص فيه مصاباً بالفشل، إما بسبب أفعاله ورغباته وقراراته ونواياه أو بسبب أنشطة بعض قوى الشر هذه بشراً، فلا بد أن يكون مصيرها المقسم سيئاً، مما يعني أن هناك مصيراً سيئاً. أو إذا كان لديهم في الأصل قدر جيد، وقد تغير، فهذا يعني أن القدر متغير. إذا كانت قوى طبيعية، فمرة أخرى، هناك مصير سيئ.

## القدر والتناسخ

هناك معتقدان مهمان آخران لليوروبا هما المعتقدات في خلود الروح والتناسخ، ومن الضروري توضيح كيف يتناسب الإيمان بالقدر مع هذين المعتقدين. يبحث اليوروبا عن ثلاثة أهداف في العالم: إيرأوو ire owo

إير أومو ire omo، وإير أيكو باري إيوا ire aiku pari iwa (خير المال، وخير البنين، وخير الخلود). والأخير هو الأهم بالنسبة إليهم؛ لأنه تاج الوجود (iwa) (إوا). ايكو Aiku هو الخلود. والاعتقاد هو أن الموت الجسدي ليس نهاية حياة الإنسان، لأن الروح تعيش في مستوى مختلف من الوجود. هذه الروح (emi) (إيمي) قد يتجسد بعد ذلك في شكل مختلف من الوجود في وقت لاحق. وهكذا يجوز للوالد المتوفى أن يتجسد مرة أخرى في شكل طفل لابنته أو حفيدته. أما فيما يتعلق بالإيمان بالقدر، فإن هذا الإيمان بالخلود والتناسخ يثير عدداً من الأسئلة. أولاً، كيف يمكن تصور العلاقة بين المصير الأصلي المخصص للشخص الأصلي في حياته الأولى والمصير الجديد في حياته الثانية؟ هل هو نفس المصير الذي يتم تعليقه مؤقتاً فقط عند الموت، أم إن هذا الموت بالفعل هو مرحلة واحدة من المصير الطويل بأكمله الذي يجب أن يعيشه أم إن القدر الأول ينقضي عند الموت الأول، ويبدأ قدر جديد عند كل تجسد؟ لا يبدو أن هذا اللغز قد تم التفكير فيه كثيراً في التأملات الفلسفية التقليدية حول المصير.

يمكننا أن نحاول أن نرى كيف تسير الخيارات المختلفة. أولاً، لنفترض أنه نفس المصير الشخص الأول. ويترتب على ذلك أن المرء لا يموت حقاً حتى يتم تحديد كل «حياة» الذي يمتد إلى كل تفاصيل مصيره في حياته المختلفة، بل إن بعض القصص الأسطورية التي توضح الاعتقاد تشير إلى شيء من هذا القبيل. هناك، على سبيل المثال، قصة شاب معين. وبينما كان على وشك الخروج إلى العالم لأول مرة، تلا مصيره للحصول على موافقة أولودوماري Olodumare الكائن الأسمى. كان قدره أن يذهب إلى العالم، ويعيش حتى سن الشباب، ويكون له صديقة، ويحدد موعداً لحفل الزفاف، وفي يوم الزفاف، يذهب إلى الأدغال لقضاء حاجته، ويلدغه ثعبان سام. وبعد ذلك، على حد تعبيره سأعود وبعبارة أخرى، كان سينهي حياته بهذه الطريقة. في هذا الصدد، التناسخ هو مجرد استمرار لنفس الحياة. ولكن إذا كان الأمر كذلك، فلن تكون هناك حاجة لاختيار مصير جديد. يجب أن يتبع عبارة سأعود «سرد آخر حول ما سيحدث بعد ذلك.» ربما بعد ذلك، سألبقى لبعض الوقت وأعود لأولد في عائلة والدي الأصلية مرة أخرى وهذا من شأنه أن يفسر ظاهرة أبيكو abiku الأطفال الذين يولدون ليموتوا.

لكن لنفترض أن الشخص لديه تقسيم مختلفة من المصير في كل تناسخ. فهل يمكن القول إن نفس الشخص يتجسد بعد كل موت؟ وهذا من شأنه أن يثير مشكلة خطيرة فيما يتعلق بمعنى كونك نفس الشخص. إذا كان صحيحاً أن شخصية المرء تتحدد حقاً من خلال نوع المصير الذي يمتلكه، فإن كل جولة جديدة يبدو أنه يظهر شخصاً مختلفاً، بشرط ألا يكون المصير المختار متطابقاً. لذا حتى لو تم جلب هذا الكائن الجديد إلى العالم هذه المرة من خلال نفس الأم كما كان من قبل، فهذا لا يعني أنه نفس الشخص. الأمر كل هذا يتلخص في ماهية الشخص، وفي التقليد، فإن الشخص عبارة عن مزيج أرا ara (جسم)، إيمي emi (الروح أو قوة الحياة)، والمصير (kadara or ipin). (كادارا أو ايبن).

## أهمية المصير: معالجة مسألة العقلانية

الإيمان بالقدر له مكانة خاصة في رؤية اليوروبا للعالم. مثل الطريقة التي يتم بها تصور الصدفة والسببية، والتي هي من حيث المصطلحات الشخصية التي تشير ضمناً إلى أنشطة الآلهة والكيانات الروحية الأخرى، فإن الإيمان بالقدر يتناسب تماماً مع نظام الفكر التقليدي اليوروبا. علاوة على ذلك، إذا استكشف المرء بعناية، سيكتشف منطقها. ليس هناك شك في أن الاعتقاد يخدم هدفاً. وهو التأكيد للإنسان أن له دوراً في العالم، حتى لو كان دوراً مكلفاً به. علاوة على ذلك، هناك تأكيد ضمني بأنهم ليسوا وحدهم، بمفردهم؛ لأن هذا الدور قد أقره الإله. هناك، أخيراً، التأكيد أن لحياتهم معنى، وهو ما يتم ترميزه في رسالة القدر. وبناء على ذلك، يتم استخلاص درسين. أولاً، لا ينبغي للناس أن يقلقوا بلا مبرر بشأن الفشل؛ لأن ذلك قد يكون مصيرهم. ولكن ثانياً، بما أن القدر قد يكون مجرد مؤشر على الإمكانيات، فلا ينبغي لهم أيضاً أن يشعروا بالرضا عن النفس. يوحى لنا هذا الاعتقاد أيضاً بأن اليوروبا لديهم بعض القلق بشأن المواقف الخارجة عن سيطرة أي شخص، ويحرصون على توفير بعض الحماية النفسية ضد قسوة الحياة وتقلبها.

من الفقرة الأخيرة، يمكن للمرء أن يسلم بأن الإيمان بالقدر له مبرراته المنطقية. ولكن هناك سؤال آخر في محله: هل الإيمان عقلائي؟ هذا هو السؤال الذي طرحه Peter Bodunrin بيتر بودونرين. كما يقول حجته:

إن معرفة سبب اعتناق الناس لمعتقد معين لا يكفي لإثبات أن هذا الاعتقاد عقلائي. بالنظر إلى أي ممارسة اجتماعية، يمكن للمرء دائماً أن يجد سبباً لذلك، إن تفسير حدث ما من حيث دوافع شخص أو إله لا يكون عقلائياً إلا إذا تم تقديم دليل على وجود الشخص أو الإله، أو أسباب كافية مع ذكر سبب افتراض وجودهم وتقديم الحجج حول سبب وجود الشخص أو الإله. أو من المفترض أن يكون الله سبباً في حدث معين. من المؤكد أن إثبات الاعتقاد ينشأ من احتياجات عاطفية، إذا كان هذا صحيحاً في الواقع، لا يمكن تفسيره على أنه إظهار عقلائي.

وجهة نظر بودونرين Bodunrin هي أن المعتقد التقليدي، مثل أي اعتقاد آخر، يجب تقييمه من وجهة نظر فلسفية. ولا يمكن لأحد أن يخطئ في هذا الطلب. كل ما قلناه عن القدر الذي يعطي معنى لحياة الناس قد يكون صحيحاً، ولكن السؤال الذي لا يزال يتعين طرحه: ما مدى عقلانية الاعتقاد؟ ويمكن معالجة هذا من وجهات نظر مختلفة. سأحدد ثلاثة. أولاً، هل الإيمان متماسك؟ أي هل مكوناته الداخلية متناسقة مع بعضها البعض؟ ثانياً، هل يتوافق هذا الاعتقاد مع المعتقدات الأخرى التي يحملها الناس حول العالم؟ ثالثاً، هل الاعتقاد أو النظرية متوافقة مع الواقع (الممارسة) كما نختبره؟

بالنسبة إلى المسألة الأولى، فمن خلال مناقشاتنا أعلاه، يبدو واضحاً أن هناك توتراً بين مختلف مكونات الإيمان بالقدر. فمن ناحية، هناك توتر بين فكرة الحياة المقدرة وفكرة المسؤولية الفردية. وهي تشبه العلاقة بين الإيمان بالاحتمالية والإرادة الحرة. إذا افترضنا أن المصير متغير، فيمكننا أن نرسم تشبيهاً بين القدر والاحتمالية

الناعمة، وهو ما يتوافق مع الإرادة الحرة. قد يقترح المرء بعد ذلك أن القدر متوافق أيضاً مع المسؤولية. لكن هذا لا يؤدي إلا إلى نقل مشكلة عدم التماسك إلى ساحة أخرى. ومن المفيد هنا أن أقتبس من باري هالين Barry Hallen سيقول أحد اليوروبا أنه بمجرد «تحديد» المصير بواسطة أولورون Olorun، فإنه لا يمكن تغييره، يجب أن يحدث. ومع ذلك، في مناسبات أخرى، سيقول نفس الشخص إنه من الممكن أن «يفقد» المصير الذي تم تقسيمه، بمعنى أن يصبح المرء مرتبكاً وتائهاً خلال حياته ويفعل أشياء لا يناسبها على الإطلاق. أو يمكن لقوة خارجية أن تتدخل في مصير المرء. ولا يتفق أي من ذلك تماماً مع الاعتقاد بأنه بمجرد تحديد المصير، فإنه غير قابل للتغيير ويجب أن يحدث. (مقتبس في بودونرين 1984: 16)

من المؤكد أن هذا يبدو مثلاً على المعتقدات غير المتسقة ضمن بنية واحدة من المعتقدات، وبقدر ما يتعلق الأمر ببودونرين، يجب النظر إليه وتقييمه على هذا النحو. لكن هالين لا يفعل ذلك؛ ومن ثم يعترض بودونرين على رواية هالين. بالنسبة إلى هالين، فإن التناقض موجود فقط إذا نظرنا إلى معتقد اليوروبا من المنظور الغربي. يرى أن المعتقدات المختلفة التي يمكن الاستناد إليها عندما يكون هناك حاجة إلى تفسير يمكن مقارنتها بالأقسام المختلفة التي تصطف على طول أجنحة المسرح، ويمكن أن تتأرجح في مكانها حسب متطلبات المشهد التالي. كل قسم يتوافق مع اعتقاد معين. هناك لوحات اعتقاد أخرى في الأجنحة قد تتعارض معها إذا تم إدخالها في نفس الوقت. لكن هذا لا يحدث (إلا في ظروف استثنائية للغاية)؛ لأنه عندما يحتل نوع معين من المشاكل مركز المسرح، يتم دائماً نقل نفس القسم ليكون بمثابة خلفية توضيحية له. (مذكور في المرجع نفسه 17)

لم يكن بودونرين مسروراً بهذا النهج، الذي يرى أنه «تفسير جيد للأسباب التي تجعل أهل اليوروبا لا يجدون من الغريب أن يعيشوا مع معتقدات غير متسقة». ولكن على حد تعبيره: «لا يمكن تفسيرها تفسير هالين على أنه يظهر أن اليوروبا لديهم وجهات نظر متسقة حول المصير كما تم التعبير عنها في مفهومهم أوري؛ بل يشرح تفسيره لماذا لا يرى اليوروبا أي تناقضات في نظام معتقداتهم. المرجع نفسه). ولكن فيما يتعلق بهذه المسألة، أعتقد أن بودونرين على حق. وهذا هو الموقف الذي ناقشته في مكان آخر (1987) ومع ذلك، فأنا لا أعني أنه لا يمكن للمرء العثور على حجج لإزالة التناقض.

والسؤال هو ما هو نوع الحجة الموجودة لإزالة التناقض الواضح؟ إن مسألة الإيمان بقابلية تغير المصير هي مسألة أساسية في النظرية. والمسألة التي طرحناها في هذا الصدد هي ما إذا كان هذا الاعتقاد يتوافق مع فكرة المصير الثابت الذي لا يتغير. والآن يتلخص أحد السبل للخروج من هذه المعضلة الواضحة في النظر إلى الإيمان بالمصير غير القابل للتغيير، باعتباره قدراً من القدرية، والزعم بأن هذا ليس موقف اليوروبا. وقد جادل كثير من العلماء بهذه الطريقة. وهكذا ميز موسيس ماكيندي Moses Makinde 1985 بين القدر القوي، والذي يعرفها على أنها القدرية أو الجبرية، والمصير الضعيف، والتي يعرفها على أنها مفهوم اليوروبا أوري. وإذا كانت القدرية تستلزم عدم التغيير، فإن القدر الضعيف كما في أوري لا يستلزم ذلك. وبالتالي، نقول الحجة، ليس هناك تناقض في الاعتقاد. وهناك حجة أخرى مفادها أنه حتى المفهوم القوي للمصير مفتوح للتغيير،

فيما يتعلق باليوروبا. ووفقاً لهذا التفسير، فإن مفهوم آسي ase (المراسيم الإلهية الخاصة) أفضل من تلك أوري أوأيامو ayanmo (القدر)؛ لأنه يصدر من أولودوماري. النقطة المهمة هنا إذن هي أن Olodumare يمكنه إحداث تغيير من خلاله ase بمجرد تقديم الدعاء وقبوله. ويبدو أن حقيقة أن اليوروبا يتصرفون وكأنهم يعتقدون أن المصير قابل للتغيير تدعم هذا التفسير.

المسألة الثانية تتعلق بما إذا كان هذا الاعتقاد متسقاً مع المعتقدات الأخرى التي يعتنقها اليوروبا حول العالم. ستتضمن قائمة معتقدات اليوروبا الرئيسة حول العالم ما يلي على الأقل. هناك الله. هناك أوريساس Orisas (آلهة ثانوية)؛ الموت أمر لا مفر منه؛ العمل علاج للفقر. حسن الخلق هو الجمال. وهو ملك جميع الطلسمات، والاعتدال هو مصدر الشرف والاحترام وما إلى ذلك. ومن قائمة المعتقدات هذه هل يمكن القول إن هناك ما لا يتوافق مع الإيمان بالقدر؟ مرة أخرى، يبدو للوهلة الأولى أن الاعتقاد بذلك أوري هو العامل المحدد للنجاح أو الفشل لا يتفق مع الاعتقاد بأن العمل هو علاج للفقر. ومع ذلك، كما هو مذكور أعلاه، يعترف اليوروبا بأهمية العمل الجاد في تحقيق المصير الجيد. هذا هو السبب في تصور إيس (الساق) وأوو (اليد)؛ ومعنى ذلك أن اليد والرجل أداتان مهمتان في تحقيق مصير الإنسان. ولذلك، قد يبدو أنه لا يوجد تعارض بين المعتقدتين. فيما يتعلق بالشخصية، فقد لوحظ أيضاً أعلاه أن إحدى الطرائق التي يمكن من خلالها تغيير مصير الفرد هي من خلال شخصيته الخاصة. وبطبيعة الحال، قد يتساءل المرء كيف يمكن لشخصية المرء أن تسهم في تغيير مصيره، حيث إنه من المفترض أن تكون عنصراً من عناصر المصير في المقام الأول. أنا شخصياً لا أرى إجابة مناسبة لهذه المشكلة ضمن بنية المعتقد.

والمسألة الثالثة هي ما إذا كان الاعتقاد أو النظرية يتوافق مع الواقع أو الممارسة كما نختبرها. على سبيل المثال، بما أن نظرية القدر تشير إلى أن المرء لديه قدر محدد مسبقاً قبل مجيئه إلى هذا العالم، فإن أحد الآثار العملية المحتملة هو الاستسلام. لكن عملياً، لا أحد يتبنى فلسفة التنازل أو الترك. فهل يشير هذا إذن إلى أن النظرية غير متوافقة مع ممارستنا؟ مرة أخرى، قد تكون إحدى طرائق معالجة هذه القضية هي لفت الانتباه إلى مدى تعقيد نظرية القدر وتصحيحاتها المضمنة. قد يجادل المرء بأن القدر لا يعني، حتى من الناحية النظرية، الاستسلام؛ لأن الفكرة هي فكرة الإمكانية. الإمكانية هي شيء لا يزال يتعين تحقيقه. ثانياً، قد يجادل المرء بأنه ما دام المصير مجرد احتمال، فلا يمكن للمرء، حتى من الناحية النظرية، أن يتبنى باستمرار فلسفة الاستسلام حتى يبذل جهوداً متواصلة دون نجاح. لكن، بطبيعة الحال، هناك معتقدات أخرى في النظام، ترفض قياس النجاح من حيث الثروة أو المنصب. علاوة على ذلك، كما نوقش أعلاه، يمكن أيضاً الإشارة إلى أن نظرية المصير تسمح بمفهوم آسي (المراسيم الإلهية) مما يؤدي إلى أنه حتى فكرة القدر القوية تكون عرضة للتغيير بمشاركة أولودوماري (الله). ولذلك، يبدو أن النظرية لا تتعارض مع الجهود العملية لتجنب الفشل. يبدو إذن أن المطلوب هو تحليل شامل للمنطق الكامل للنظرية. ومن ثم، يمكن للمرء أن يتوقع توافقاً أفضل بين نظرية القدر وتطبيقه.

## خاتمة

مما سبق، يبدو واضحاً أن مفهوم القدر، كما يظهر في الخطاب الفلسفي اليوروبي، يحمل إمكانات جيدة لتحقيق فلسفي مجزي. لقد حاولت فقط إثارة بعض القضايا التي تتطلب المزيد من التحليل والتحقيق. وأنا متأكد من أنه لا يزال هناك الكثير مما يتعين القيام به، وأنه، حتى فيما يتعلق بالأمور التي حاولت تناولها هنا، هناك الكثير مما يمكن قوله وليس بعض الاعتراضات التي يجب أخذها في الاعتبار. لكنني أعتقد أنه من الواضح أنه لا يمكن للمرء أن يرفض هذا المفهوم بوصفه غير عقلائي دون مزيد من الحجج. ويبدو من الواضح أيضاً أنه لا يمكن للمرء أن يحدث وقبحة بين النظرية وممارسة القدر دون الكثير من الحجج. أخيراً، بما أن الإيمان بالقدر لا يزال يحتل مكانة بارزة في الحياة الاجتماعية للناس، فستظل هناك حاجة إلى جهود فلسفية جادة للتعامل مع القضايا المختلفة التي تحتاج إلى حل لتوجهنا نحو صياغة نظرية مناسبة.

\*1- For an extensive discussion and defense of my account of okan, see Gbadegesin 1991: ch. 2

## المراجع:

- Bodunrin, Peter (1984) "The Question of African Philosophy," in Richard Wright, African Philosophy: An Introduction, 3rd ed. (Lanham, MD: University Press of America), pp. 1-23. (Orig. in Philosophy, 56 (1981): 161-81.)
- Gbadegesin, Segun (1984) "Destiny, Personality and the Ultimate Reality of Human Existence: A Yoruba Perspective," Ultimate Reality and Meaning, 7(3): 173-88.
- Gbadegesin, Segun (1987) "God, Destiny and Social Injustice: A Critique of a Yoruba Ifa Belief," in Gene James (ed.), The Search for Faith and Justice in the Twentieth Century (New York: Paragon Press).
- Gbadegesin, Segun (1991) African Philosophy: Traditional Yoruba Philosophy and Contemporary African Realities (New York: Lang Publishing).
- Gyekye, Kwame (1987) An Essay on African Philosophical Thought: The Akan Conceptual Scheme (New York: Cambridge University Press).
- Makinde, Moses (1985) "A Philosophical Analysis of the Yoruba Concept of Ori and Human Destiny," International Studies in Philosophy, 17(1): 53-69

 Mominoun

 MominounWithoutBorders

 @ Mominoun\_sm

[info@mominoun.com](mailto:info@mominoun.com)

[www.mominoun.com](http://www.mominoun.com)

مُهْمِنُون بِلا حدود

Mominoun Without 3orders

للدراسات والأبحاث [www.mominoun.com](http://www.mominoun.com)

